آية اللّه التسخيري
رائد التقريب و رسول المودة

■ **الدكتور ابوذر ابراهيمي**
رئيس رابطة الثقافة و العلاقات اسلامية

شهد التاريخ شخصيات جمة في كل من جانبيه الايجابي و السلبي. فالذي في جانبه الايجابي، بذل ما بوسعه للارتقاء في مدارج الكمال الانساني و خدمة المجتمع في ضوء تكامله. و الفريق الآخرغارق في انحرافاته خالق لنفسه ومجتمعه مصائب و محن كثيرة.

وآية الله التسخيري، من جملة الشخصيات الفذة التي احتلت موقعها في التاريخ الانساني الحي. ذلك أنه و طوال حياته المباركة لم يألو جهداً للسمو بالنفس و الارتقاء بالمجتمع في مدارج الكمال. ذلك ان حياة هذا الرجل الفاضل حافلة بما يبعث على الفخر و يحظى بالاحترام و التقدير. و لعلّ احد ابرز الخصائص التي اتسمت بها شخصية العلامة التسخيري الاعتدال في الفكر و السعي للتقريب بين المسلمين وتعزيز صولتهم.

في مرحلة الشباب، و منذ أن بدأ تعليمه بمدينة النجف الاشرف، كرس التسخيري كل وقته و جهده للدراسة و البحث العلمي، و خلال فترة قصيرة استطاع ان يتزين بلباس العلم والمعرفة. و نتيجة اجادته للغة العربية، عمل على ترجمة نتاجات العديد من المفكرين الايرانيين و تعريف العالم بالفكر الاسلامي الاصيل.

يشار الى أن الفقيد آية الله التسخيري اهتم في شبابه بالأدب العربي و حفظ قصائد و اشعار كبار الشعراء العرب، كما حاول النظم و كانت لديه قصائد و اشعارحظيت باعجاب الكثيرين. كان (رحمه الله) عارفاً بأنواع الشعر و فنون الأدب عموماً، و نظم قصائد كانت ترددها الألسن المشاركة في مواكب العزاء التي كانت تخرج في المدن العراقية. و مما يذكر أن هذه القصائد خلقت له العديد من المشاكل فيما بعد، حيث اقدمت السلطات البعثية على اعتقاله و تعريضه للاضطهاد و التعذيب. و يبدو أن الارادة الالهية قدرت له ذلك للمضي في تساميه و تكامله.

عقائد و توجهات رجل الدين المخلص هذا، و منذ شبابه، كانت بدرجة من الرسوخ و الاستحكام بوحي من إيمانه بالفكر و التعقل، و كانت تشكل السمة البارزة لأقواله و أفعاله حتى آخر يوم من حياته الفانية.

تتلمذ الفقيد الراحل في مدرسة الشهيد السيد محمد باقر الصدر، و على مدى سنوات نهل من الانفاس الزكية لهذا العالم الرباني. حيث درس المعارف الاسلامية و احاط بها من اقرب الموارد المتصلة بنبي الاسلام، رسول الرحمة. درس الفقه و الاصول و التفسير و العلوم

الأخرى و نهل من هذا النبع الفياض، مما أهله لأن يحتل موقعاً مرموقاً بين النخب الواعية والمفكرين البارزين.

و إذا ما سلمنا بأن صدق النوايا و الدوافع يفوق سحر الاقوال و الافعال، يمكن القول أن دوافع آية الله التسخيري كانت دوافع انسانية صادقة محبة للانسان، و في محاضراته و حواراته لم يكن ينظر الى معتقد الآخر و دينه، و لم ينشد غير تبيان الحقيقة و قبولها، بعيداً عن التحدي والاختلاف و المواجهة. كان سماحته يتحفظ كثيراً لئلا يسبب احراجاً لأحد، و أن لا تمس شخصية الافراد و خلق متاعب لهم. و كان بحثه و نقاشه يتمحور حول الحق و الحقيقة. و لهذا كانت مشاركته في المنتديات و المحافل الدولية تشكل فرصة مغتنمة بالنسبة لأصدقاء كثيرين. اصدقاء لم يتحفظوا في التعبيرعن حبهم و اعتزازهم بصداقته. و في هكذا اجواء كان يتم الاستماع الى خطاباته و قبولها. الخطاب الذي يهدف الى احقاق الحق بعيداً عن التفاخر بالقدرات العلمية و الشخصية. ولهذا كان الخطاب نفسه مدعاة للتعرف على شخصيته ايضاً.

رؤية آية الله التسخيري الى الانسان كانت مفعمة بالرأفة و المودّة، الرأفة و المودة التي تربى عليها، و لم يقتصر ذلك على من يتفقوا معه بالافكار و التوجهات، بل ان سماحته كان يتصرف برأفة و مودة مع الجميع حتى مع معارضيه. و لهذا كان مخاطبه يدرك جيداً أنه يختلف معه في التوجه وليس معارضاً له شخصياً.

اهتم آية الله التسخيري بموضوع التقريب بين المذاهب الاسلامية بوحي من إيمانه الراسخ بأهميته. لأنه كان يدرك تماماً تداعيات الاختلاف و التفرقة على الامة الاسلامية و اضعاف شوكتها، و كان يعتبر ذلك مدعاة لظهور التعصب و التطرف. و كان يتجاوز الاساليب التقليدية في علاقاته، و يهتم بالعلاقات الودية والصداقات الحقيقية. لم يكن سماحته يؤمن بالعلاقات الشكلية لان شخصيته لا تستسيغ ذلك، و لهذا كان ينتهز كل فرصة لتعزيز و ترسيخ المودة و الصداقة و السلم.

كان آية الله التسخيري يؤمن بأن مواضع الاختلاف بين المسلمين يجب أن لا تتحول الى قاعدة و أصل يصعب تسويته. كان يعتقد بأهمية الرجوع الى المشتركات التي يجب ان تكون بدرجة من القوة قادرة على استيعاب الاختلافات و تسويتها. و كانت هذه الرؤية و هذا التوجه محط الانظار في المنتديات الدولية التي كان يشارك فيها سماحته و يحظى بقبول الكثيرين. و لا يخفى ان سماحته لم يكن يهدف من وراء ذلك سوى هيبة الاسلام وعزة المسلمين.

يشار الى ان الكثير مما كان يتحدث به آية الله التسخيري، هو ما يؤمن به الشيعة الاثنى عشرية، و هو كلام لم يكن يسمع في المحافل و المنتديات لعدم توافر فرصة الاستماع الى هكذا خطاب. و الطريف ان سماحته كان على اطلاع واسع بمصادر ابناء السنة، و كان حريصاً بان يكون خطابه مستنداً الى مراجعهم في كتب الحديث. و كان يؤكد على عدم وجود اختلافات حقيقية بين المذاهب الاسلامية بالنحو الذي يروج له الآخرون. و كان يدعو الى عدم تهويل الاختلافات بما يؤدي الى مصادرة المشتركات الكثيرة و العمل على تغييبها و اندثارها.

بجسده المعتل كان آية الله التسخيري يتنقل بين الدول و البلدان الاوروبية و الآسيوية و الافريقية، لتبرير ما آمن به و الدفاع عن قناعاته. ما هو مهم بالنسبة له أن يحافظ المسلمون على تضامنهم و تعاضدهم و اتحادهم، ولهذا لم يكن بوسع الحواشي و القضايا الثانوية ثنيه عن اهدافه الرئيسية.

كان سماحته واثقاً من أن معالم مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) قادرة على تحقيق التقريب بين المذاهب الاسلامية. و لم يكن يرى التزام الصمت ازاء موضوع التقريب مجدياً، بل على العكس ان السكوت و التزام الصمت من الممكن ان يخفي الاختلافات و يدفع بها الى الخفاء و الكتمان. وكان يحرص على الاستناد الى القواسم المشتركة في كل ما يكتب و يتحدث به. كما أنه لم يكن يحب الجدال، بل كان من دعاة المناظرة، و كان يراعي أدب الحوار الى حد كبير. و في هذا الصدد ما زلت أتذكر ما حصل في احد المؤتمرات الدولية، و كيف ان شخصاً كان يعتبر نفسه مفكراً مؤثراً إلا انه كان يفتقد لأدب الحوار، تقدم صوب آية الله التسخيري و خاطبه بكلام غير لائق. و توقع الحضور ان يثير ذلك غضب سماحته و يدعوه للرد عليه بعنف، غير ان آية الله التسخيري قابله بابتسامة صادقة و نظر اليه نظرة عطف و مودة وبادره بالسؤال عن احواله، وأثنى على رأي له كان قد صرح به من قبل في احد المؤتمرات. و في الحقيقة شعرهذا الشخص بالخجل و لم يقل شيئاً. و بعد لحظات جاء خجلاً يعتذر الى الشيخ التسخيري عما صدر منه، و امسك بيد التسخيري و مسح بها رأسه، فما كان من سماحته أن احتضنه بود و محبة. . الشيخ التسخيري لم يعرف معنى الحقد، و كان واثقاً بأن القلب الذي يكتنز الحقد لا يعرف المودة دون شك. باختصار كان آية الله التسخيري ينظر الى التقريب بين المذاهب الاسلامية بمثابة مبدأ وقناعة راسخة، وليس استراتيجية مؤقتة وعابرة.